

وقد تمت كتابة هذه الأسطر في تفسير الفرقان يوم السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٤٠٩ هجرية قمرية على هاجرها ألف سلام وتحية في بلدة قم الطيبة.

فالحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً «الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل»^(١).

«الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلوّ من نعمته، ولا مأيوس من مغفرته، ولا مستنكف عن عبادته، الذي لا تبرح منه رحمة، ولا تفقد له نعمة» (٤٥) -

«الحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق، والحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافئ الإفضال» (٤٨) -

«الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلّت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصيرة» (٤٩) -

«الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون أخيراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً» (٦٣) -

«الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كلّ غنيمة وفضل، وكاشف كل عظمة وأزل، أحمده على عواطف كرمه، وسوايغ نعمه، وأؤمن به أولاً بادياً، وأستهديه قريباً هادياً، وأستعينه قاهراً قادراً، وأتوكل عليه كافياً ناصراً» (٨١) -

= على هامش الدراسات القرآنية - الدروس المرسومة في الحوزات كلها عند أكابر العلماء، وأعظم المراجع زهاء نصف قرن، ولكي يفسح لي المجال لغربلتها عرضاً على القرآن العظيم، فوفقت بحمد الله وحسن توفيقه، لما ترون من هذا الفرقان وسائر ما كتبت على محور القرآن، والحمد لله أولاً وآخراً.

ومما وسع لي نطاق المعارف القرآنية هو مواصلة الحضور للمحاضرات التفسيرية للمغفور له العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان قدس الله روحه.

(١) (الخطبة ٣٥).

«الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رؤية، الذي لم يزل قائماً دائماً، إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات إرتاج ولا ليل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج، ولا فجّ ذو اعوجاج، ولا أرض ذات مهاد، ولا خلق ذو اعتماد» (٨٨).

«الحمد لله الذي لا يصره المنع والجمود، ولا يكديه الإعتاء والجود، إذ كل معط منتقص سواه، وكل مانع مذموم ما خلاه» (٨٩) -
«نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان» (٩٧).

«الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرايعه لمن ورده، وأعز أركانه على من غالبه» (١٠٣) -

«أحمد الله وأستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره، والاعتصام من حبائله ومخاتله» (١٤٩) -

«اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبتلي، حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك، حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمداً لا يحجب عنك، ولا يقصر دونك، حمداً لا ينقطع عدده ولا يفنى، وأتوكل على الله توكل الإنابة إليه، واسترشد السبل المؤدية إلى جنته، القاصدة إلى محل رغبته» (١٥٩) -

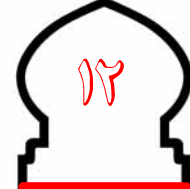
«الحمد لله الذي إليه مصاير الخلق، وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، ونير برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقه قضاء، ولسكره أداء، وإلى ثوابه مقرباً، ولحسن مزیده موجباً، ونستعين به استعانة راج لفضله، مؤمل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مدعن له بالعمل والقول» (١٨٠) -

«الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتاً ولا سقيماً، ولا مضروباً على عروقي

بسوء، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً دابري، ولا مرتداً عن ديني،
ولا منكراً لربي، ولا مستوحشاً من إيماني، ولا ملتبساً عقلي، ولا معذباً
بعذاب الأمم من قبلي» (٢١٣)

«اللهم إنك أنس الأنسين لأوليائك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين
عليك» (٢٢٥).





سُورَةُ يُوسُفَ



سُورَةُ يُوسُفَ

وآياتها إحدى عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُكَ لَا نَقُصُّ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

تنزل هذه السورة كلها في مكة المكرمة، في فترة محرجة موحشة من هذه الرسالة القدسية، يعانيتها الرسول ﷺ من الجاهلية الجهلاء القرشية، تهريجاً لجو مكة ضده، وتهريجاً لصاحب الدعوة، ضرباً وشتماً وحصراً في شعب أبي طالب وفي النهاية تهجيراً إلى المدينة، فقد أخرجوه طيلة العهد المكي حتى أخرجوه، فتقص له فيها أحسن القصص توطيئاً وتوطيداً لخاطره الشريف، حين يسمع قصة أخ له من قبل يعاني صنوف المحن من أخوة له في النسب، وهذا

النبي يعاني المحن من قومه ، وعلى الجملة فإن هذه السورة ترسم له من قصصها صورة عسيرة من دعوة سابقة بين حاسدين يتربصون به كل دوائر السوء ، وهي في ختامها يسيرة حيث يرجع صاحب القصة أميراً صغيراً يشري بثمان بخس دراهم معدودة ثم يزج في السجن في تهمة وقحة!

وكذلك أنت يا صاحب الرسالة القدسية - وبأحرى - فإن مع العسر يسراً ، سوف ترأس في مهاجرك دولة الإسلام ، ويصبح ختامك خير ختام بحول الله الملك العلام .

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾﴾ :

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هو القرآن المفصل ، وهو المجمع المنزل ليلة القدر ، وهو أم الكتاب لدى الله علي حكيم^(١) .

فإن كان هو القرآن المفصل ، ف ﴿تِلْكَ﴾ المفصلات كهذه السورة وسواها آياته ، وإن كان هو المجمع فكذلك الأمر ولكنها تفصيل آياته ، أم إن ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ﴿الرَّ﴾ أنها آيات الكتاب المبين النازل على الرسول في ليلة القدر ، قرآناً على شخص الرسول كبرقية رمزية ، لا عربياً في لغته حيث الحروف المقطعة لا تخص لغة دون أخرى ، ولا عربياً في تعقله حيث لا يعقلها غير الرسول ﷺ - ولكنها منها وليست كلها ، إلا أن ضمنيتها في هذه الثلاث تحل مشكلة التبعض ، وقد تكون هذه الأحرف حاملة غير الذي أنزل عليه ليلة القدر ، أم تعمهما ، ومهما يكن من شيء فإنها مفاتيح كنوز القرآن الخاصة بصاحب الوحي ، وهي الكنوز التي لا تفتح بآياته المفصلات ، مهما كانت مفاتيح لكنوز أخرى للمرسل إليهم .

(١) راجع تفسير الكتاب المبين إلى سورة الزخرف تجد تفصيله الثلاث .

ف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: الكتاب المبين للرسول، المجمل عن غير الرسول ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ لغة عربية ولساناً عربياً: واضحاً لا خفاء فيه في أي حقل من الحقول ولكل العقول.

ف ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لا تعني - فقط - العرب، فإنه بل تعني كافة العقلاء.

فالقرآن المبين، الممنزل على قلب الرسول ﷺ في هذه الحروف الرمزية أم سواها من رموز، ليس عربياً يعقله غير الرسول، وقد جعله الله بتنزيله للعالمين ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ واضحاً مكشوفاً لا تعقيد فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فهو عربي اللفظ والمعنى، عربي الدلالة والمدلول، عربي في التفهم والتطبيق، لا تعقيد فيه دعوة وداعية، وقد يروى عن الرسول ﷺ بشأن العربي قوله ﷺ: أحب العرب لثلاث، لأنني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي^(١) وليس هذا من حب الذات، وإنما حب النبوة السامية، وحب القرآن وحب الجنة، فالقرآن ونيبه عربيان واضحان دون خفاء، والجنة عربية واضحة لأهلها!

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أيها العقلاء ﴿تَعْقِلُونَ﴾ فالعاقل قد يعقل إذا تعقل وشاء الهدى، وقد لا يعقل إذا لم يتعقل أو شاء الردى، ف«العل» الترجي هنا وفي سائر القرآن، لا تعني شكاً في ترجٍ لساحة الربوبية، وإنما هما فيمن خوطب

(١) الدر المنثور ٤: ٣ - أخرج الطبراني وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، قال قال رسول الله ﷺ . . . وأخرج الحاكم عن جابر أن رسول الله ﷺ تلا قرآناً عربياً ثم قال رسول الله ﷺ: ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً وفي تفسير الألوسي ١٢: ١٧٢ عن الشيرازي في كتاب الألقاب بسند عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال: أول من فتق لسانه بالعربية الميمنة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة.

بالقرآن، فالهدى محتومة في دعوة القرآن لأنه غير ذي عوج، وهي غير محتومة في المدعوين بالقرآن بما فيهم من عوج.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣):

القص هو تتبع الأثر: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (١) ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيبَةُ﴾ (٢) وهو الأخبار المتتبعة:

﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) وليس جمعاً، بل هو جنس الخبر المتتبع والأثر: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (٤) وإنما لم يأت باسم الخبر أو الأثر حيث القصص هو الخبر والأثر المقصوص المخصوص، فليس القرآن كتاب حكاية، ولا كل خبر وأثر، بل فيه المقصوص من أثر أو خبر ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٥) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦).

وقصة يوسف بين القصص هي أحسن القصص ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ وهو أحسن حديث في قصص وغير قصص: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا...﴾ (٧) ف (إن أحسن القصص وأبلغ الموعظة وأنفع التذکر کتاب الله عز ذكره) (٨).

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ١١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٨) روضة الكافي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وفي الدر المنثور ٤ : ٣ وأخرج ابن جرير عن عون بن عبد الله قال: مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا فأنزل الله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾ [الرؤم: ٢٣] ثم ملوا مرة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق =